Ministry of Higher Education
and scientific Research
University of Thi Qar
College of Education for Humanities

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار

ISSN:٢٧٠٧-٥٦٧٢

المجلد (١١) العدد (٤) ٢٠٢١

جامعة ذي قار – – كلية التربية للعلوم الانسانية- مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية
utjedh@utq.edu.iq

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
١	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
٢	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
٣	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
٤	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
٥	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
٦	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
٧	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
٨	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
٩	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
١٠	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

المحتويات

ت	اسم الباحث و عنوان البحث
١	شعرية الصور المشابهة في كتاب نثر الدر في المحاضرات لأبي سعيد الآبي (ت ٤٢١هـ). أ.د. حسين علي الدخيلي م.م سعاد علي جبر
٢	الإيواء والكفالة بين النص القرآني والموروث الروائي دراسة تحليلية (ايواء ابي طالب للنبي أنموذجا) م.د أحمد فاضل عجيمي
٣	قرار التصويت والاجماع الخاطئ للناخب العراقي دراسة عن الانتخابات النيابية في العراق لعام ٢٠١٨ ا.د ابراهيم مرتضى الاعرجي م.د عبد الخالق خضير عليوي
٤	معركة نيقوبوليس عام ١٣٩٦ ونتائجها أ. د علي حسين نمر م. فاطمة عبدالجليل ياسر
٥	اتجاهات معلمات رياض الاطفال نحوضبط الذات لدى ألاطفال من خلال الاركان التعليمية م.د. سعاد عبدالله داود الزاملي
٦	المرأة في بعض مجموعات هادي الربيعي الشعرية محمد يحيى حسين الثرواني
٧	التوظيف المعجمي والسياقي لفهم المفردة القرآنية عند حاج حمد أ.د . رعد هاشم عبود م.م. نرجس عبد الرضا حسين
٨	الحوار الاستفهامي في مسرحية الحسين ثائرا دراسة نحوية بلاغية

	ا.د سيد حسين سيدي عقيل فرحان دعيم
٩	النشاط السياسي والفكري لحسن تقي زادة في ايران عهد رضا شاه أ.د طيبه خلف عبد الله م.م: ماجد مطر عباس
١٠	فاعلية برنامج ارشاد جماعي(معرفي– سلوكي) في تغير معتقدات التحكم لدى عينة من طلبة الاقسام الداخلية في جامعة سومر ا.د. عبد السجاد عبد عبد السادة م.م. هدى تركي عبد الجبار
١١	قضية الطبع والصنعة بين النقاد المشارقة والاندلسيين – دراسة موازنة أ.د. عباس جخيور سدخان الباحثة : إسراء حسن
١٢	مكانة العلة وأهميتها في الفقه أ.م.د. عقيل رزاق نعمان الباحثة : رشا علي عيسى
١٣	استراتيجية الصراع وحركية الحدث في نصوص (عباس منعثر)المسرحية (مونو) اختيارا م. م: زهراء كريم حسن أ. د. احمد حيال جهاد
١٤	أثر الامام الحسن بن علي (عليه السلام) في التمهيد للنهضة الحسينية م . م وسن عبد الامير حمود
١٥	**أثر السيد محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩–١٩١٥) ودوره في تحشيد عشائر المنتفك لمواجهة الاحتلال البريطاني** م.د. مسلم عوض مهلهل
١٦	Enhancing EFL Non-Native Speakers' Communicative Skills, Grammatical Competence and Pronunciation Using Mobiles م . م امال صبار جليد م . م احمد ابراهيم الطيف

Factive and Non-Factive Verbs in Selected M.A. Theses of College of Education (Ibn-Rushd) for Human Sciences (٢٠١٥-٢٠٢٠) A Syntactico-Semantic Study Asst. Prof. Huda Abed Ali Hattab Nabeel Ibraheem Abed-Alwhaab	١٧
In Search for the Villain in Herman Melville's "Billy Budd, **احمد هاشم عباس**	١٨

الاستبداد في الاستحواذ على غنائم الحرب

Tyranny to Seize the Spoils of war

أ.د. كاظم حمد محراث

ASST.PROF. Kazem Hamad Mehrath (Ph.D.)

Email: higher-education85@yahoo.com

قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الانسانية –جامعة واسط- الكوت- العراق

Department of Arabic Language - College of Education for Human Sciences - University of Wasit - Kut - Iraq

الباحثة فاطمة لامي عبد Fatima Lami Abd

gaafergaafer920@gmail.com

قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الانسانية –جامعة واسط- الكوت- العراق

Department of Arabic Language - College of Education for Human Sciences - University of Wasit - Kut - Iraq

كلمات مفتاحية: الشعر الجاهلي، الاستحواذ، الغنائم، الحرب.

Keywords: pre-Islamic poetry, restoration, spoils, war.

الملخص

حاول الجاهلي التكيف في ظل الظروف الصعبة المحيطة به المتمثلة في الجغرافية الشَاقّة والبيئة القاحلة والصحراء القاسية من جهة والجغرافية السياسية التي فرضتها دول الجوار من جهة اخرى، لكنه لم يجد امامه إلا التحدي والنيل من كل شخصٍ يهدد حياته اما البقاء بعز وكرامة او الموت، لذا نجده يلهث خلف موارد العيش ينتزعها انتزاعاً من اخية الإنسان بكل الطرق والوسائل المتاحة له للاستحواذ على موارد الرزق.

ABSTRACT

Al- Jahlil tried to adapt in light of the difficult circumstances surrounding it, represented by the difficult geography, the arid environment and the on the one hand, and the geopolitics imposed by the neighboring countries on the other hand, but he found nothing in front of him except for the challenge and harm of of every person who threatens his life, either to stay in honor and dignity or to die, so we find him panting behind The means of subsistence he snatches from his fellow human being with all the toil and the means available to him to means of sustenance.

الاستبداد في الاستحواذ على غنائم الحرب

"يقوم الإنسان وليس الطبيعة ببدء العمل, ولكن الطبيعة تكون هي المتحكمة إلى حدّ كبير"[١] , لذا يعد الغزو من اهم الموارد الاقتصادية في العصر الجاهلي عند عرب الصحراء, وخصوصا في سني انحباس المطر, والجدب, وغضب السماء على الارض, إذ يضطر الجاهلي إلى الإغارة على اماكن الخصب والماء يأخذها قهراً وعنوة من أصحابها, كما يلجأ إلى الغزو من اجل الحصول على الغنائم, فعندما تضيق به المعيشة يتجه إلى الاغارة لكي يستحوذ على ما لدى المقابل من خيرات, ومن المعروف على الجاهليين أن ارزاقهم في ارماحهم[٢], ويعتمد الغزو على مبدأ المباغتة في الأكثر, ويفاجئ به العدو عدوه, وينتزع منه ما يجده عند من مال وحلال ونساء[٣].

وَيَوماً على أهْلِ المَواشِي وتــَارَةً لأهْلِ رَكيب مِنْ ثَمِيلٍ وسُنْبُل [٤]

فرضت الظروف البيئية الطبيعية والاقتصادية على المجتمع العربي قبل الاسلام الحروب والغزوات واجبرتهم على خوضها, فليس للجاهلي حق المحافظة على حياته وتأمين قوته في بيئة لا ترحم صغيراً ولا كبيراً, بيئة شحيحة بالخيرات, إذ جعلته انساناً لا يعرف إلا السيف والقوة للدفاع عن نفسه, والحصول على رزقه, فهو دائماً يتجه للغزو, في مجتمع لا توجد به حكومة تردع ولا تأخذ حقه, فالبقاء للأقوى, وكانت حياة الإنسان قائمة على النزاعات, وتأسست الحياة لديهم على الصراع المستمر, فهم يتنازعون على موارد الرزق

فقد يثور الجاهلي لحلف أو نصرة قريب, وتثور الحروب لديهم للحصول على رياسة أو شرف, وقد تقوم بقصد السلب والنهب(٥).

إذ ينظر ابن خلدون في طبيعة الوضع الاقتصادي والمعاشي في العصر الجاهلي الذي كان له دوراً في صقل نفسياتهم وأثر على طباعهم وأخلاقهم وشخصياتهم وأنماط سلوكهم الحياتي والمعاشي قائلاً: "أن طباعهم جافية هي إلى الطباع الحيوانية اقرب..."(٦).

وان العربي يتفاعل مع الطبيعة, فالجاهلي إذا وجد خيلاً اصيلة يركبها, وسلاحاً قوياً يحمله, لا يجد في داخله رغبة إلاَّ الغزو وسيلة للتسلية, وللتخلص من قلّة الرزق, فكانت حياتهم في صراع مستمر بينه وبين البيئة القاسية, إذ ان الحياة والبيئة القاسية جعلته يتناحر من أجل الحصول على المياه والكلأ, فكانت هذه العوامل السبب في اشعال نار الحرب وما انتجت من نفسية تُميل إلى حب الاستبداد(٧).

على الرغم من ان الحروب والغزوات تعود على الناس بالمآسي والكوارث والفواجع المريرة, إذ تفرق شمل القبيلة الواحدة والقبائل الأخرى, وتقتل الرجال وتيتم الاطفال, وخصوصاً إذا كانت تقوم من أجل أخذ الثأر, فهي لا تهدأ ولا تخمد إلاّ عندما يصبح الناس كالرحى لا أثر لهم, ولا ينعمون بالسعادة ولا الاستقرار, فالحروب والغزوات نكبة وخسارة للغالب والمغلوب معاً, فهي تستنزف الموارد, وتفقد الأمم النفوس البشرية الغالية, وتثكل الآباء والامهات, لعنة تصب لعنتها على البشر وتفرض استبدادها عليهم, والعربي لم يكن مندفعا للحرب من أجل الحرب نفسها, بل كان مجبراً على خوضها, حتى أصبحت عادة لديه(٨). واصبح الجو في الصحراء العربية ملتهباً يخلق من أهله أسوداً كواسر لا يعرفون الرحمة, يتصفون بالقوة والطغيان يهجم بعضهم على بعض من غير شفقة أو عطف(٩).

فقد كانت الحياة المعيشية لدى العرب في الجاهلية تقوم على الفطرة, والاستعداد الدائم للغزو والحرب, وقد انمازت حياتهم بعدم الاستقرار الاقتصادي, حياة تقوم على الصراع المستمر, كل قبيلة تحاول فرض نفسها على القبائل المجاورة وجعل موارد الجميع تحت سطوتها, بل كل شخص يحاول إثبات نفسه وهويته في مجتمع يضمن البقاء للمنتصر[١٠]. قال الشاعر:

تَأَخَّرتُ أَستَبقي الحَياةَ فَلَم أَجِد لِنَفسي حَياةً مِثلَ أَن أَتَقَدَّما[١١]

بما إن ارزاق العرب في العصر الجاهلي كانت في رماحهم, لذا اختصر الشاعر لوحة الحياة الاقتصادية في العصر الجاهلي, التي تضمن حق الأقوى فقط, فإن لم تكن في المقدمة لم تستطع أن تثبت وجودك وان تحصل على رزقك, وتضمن معيشتك. فلم يجد الجاهلي امامه سوى الحروب والغزوات, للتخلص من ضنك المعيشة, وللحفاظ على حياتهم, واموالهم. فقد كان حتماً عليه مواجهة الطبيعة القاسية مكونة الطبيعة انساناً مستبداً على أخيه, وما يحمل الجاهلي من قوة وصبر وتحمل وطاقة, هي سبيله في البقاء في دائرة الصراع[١٢].

ومع مرور الزمن وجد الجاهلي نفسه امام الصراع للحصول على الرزق وإلا سيكون مصيره الموت لذا اتجه إلى هذا الطريق لكي يسيطر على زمام الأمور إذ صقلته البيئة القاسية بعدة طرق وجعلته إنساناً انانياً جشعاً طماعاً يحب التملك والسيطرة المفرطة لم يتوقف عند اشباع حاجته بل يسعى للأكثر, لهذا وجدوا في الغزو والإغارة هدفهم من خلال الحصول على الغنائم الحربية من اسلحة ومعدات وحلال واراضي واسرى وغيرها, إذ كان الباعث الاساسي لشن الغارة الرغبة في سلب الغنائم (المال, والحلال, والسبايا, والاسرى طمعاً في الفدية)[١٣]:

وَكُنّا إِذا ما اِغتَفَّتِ الخَيلُ غُفَّةً تَجَرَّدَ طَلّابُ التِّراتِ مُطَلِّبُ

مِنَ القَومِ لَم تُقلِع بَراكاءُ نَجـدَةٍ مِنَ النـاسِ إلّا رُمحُـهُ يَتَصَبَّـبُ(١٤)

فرضت الطبيعة الصحراوية في الجزيرة العربية على اهلها نمطاً معيشياً قاسياً, الماء في بيئته الواسعة لا يجري بشكل دائم, بل يتذبذب بين مدة واخرى منحسراً في موسم محددة, وكلما هطلت السماء بالماء امرعت المراعي, وتكاثرت الانعام, اما إذا احتبست السماء ومتنعت عن الامطار جفت الارض, واختفى العشب وهام الإنسان على وجهه يبحث عن مصدر للعيش, وانتشبت الصراعات القوي يستبد على الادنى منه, إذ كان الجاهلي يتجه للإغارة لكسب العيش, وخصوصاً أوقات نزول الغيث(١٥), وأصبحت الغارة متأصلة في نفس الجاهلي حتى عدها بعضهم الحرفة الاساسية له, فقد كانت تقوم من أجل الحصول على الغنائم والاراضي والمياه, وسد حاجاتهم الاساسية وتوفير العلف لحيواناتهم(١٦).

وقد اقتصر اهتمام عرب البادية على الحاجات والضرورات التي تعينهم على حياتهم الصعبة, فالجميع كان يسعى في تحصيل معاشهم؛ لذا كانت حياتهم تتصف بالخشونة والعصبية التي كان اساسا اجتماعيا قائما بحد ذاته, ولو بحثنا عن الاستبداد الاقتصادي في هذه المرحلة لوجدنا الغزو والإغارة هي الاساس المعيشي, وتبدوا مرحلة الاستبداد تطفوا على السطح:

قَومٌ إذا نبتَ الربيعُ لهمْ نبتتْ عَداوتُهم مَع البقلِ(١٧)

كان موسم الربيع يشكل للجاهلي مصدراً هاماً للخلاص من معاناة سنة كاملة يصارع الحياة, لذا اتخذ من الربيع وقتاً للغزو والإغارة على الاماكن التي تزهر بالعشب والمياه, إذ ان العداوة بينهم تنشب في هذه الموسم, فكان موسم نهب وسلب وإغارة على المرابع:

أَلا هَل أَتى أَهلَ الحِجازِ مُغارُنا وَمِن دونِهِم أَهلُ الجِنابِ فَأَيهَبُ

شَآمِيَّةٌ إِنَّ الشَآمِيَّ دارُهُ تَشُقُّ عَلى دارِ اليَماني وَتَشغَبُ

فَتَأتيهِمُ الأَنباءُ عَنّا وَحَملُها خَفيفٌ مَعَ الرَكبِ المُخِفّينَ يَلحَبُ

وَفَرنا لِأَقوامٍ بَنيهِم وَمالَهُـــم ... وَلَولا القِيــادُ المُستَتِــبُّ لَأَعزَبــوا

بِحَيٍّ إِذا قيلَ اِركَبُوا لَم يَقُل لَهُم ... عَواويرُ يَخشَونَ الرَدىَ أَيــنَ يُركَــبُ

وَلَكِن يُجابُ المُستَغيثُ وَخَيلُهُم ... عَلَيها حُماةٌ بِالمَنِيَّـــةِ تَضــــرِبُ

فَباتوا يَسُنّونَ الزِجاجَ كَأَنَّهُـــم ... إِذا ما تَنادَوا خَشــــرَمٌ مُتَحَــــدِّبُ

وَخَيلٍ كَأَمثالِ السِراحِ مَصونَــةٍ ... ذَخائِرَ ما أَبقــى الغُرابُ وَمُذهَتــبُ

طِوالُ الهَوادي وَالمُتــونُ صَليبَـةٌ ... مَغاويرُ فيها لِلأَريــبِ مُعَقَّـــــب

تَأَوَّبنَ قَصراً مِن أَريكٍ وَوائِــلٍ ... وَماوانَ مِن كُلٍّ تَثــوبُ وتَحلُــــبُ

وَمِــــن بَطــنِ ذي عــــاجٍ رِعــــالٌ ... جَرادٌ تُباري وِجهَــةَ الريحِ مُطنِــبُ

كَأَنَّهــا ... وِراداً وَحُوّاً لَيــسَ فيهِــنَّ مُغــرَبُ

أَبُوهُنَّ مَكتومٌ وَأَعوَجُ تُفتَلــــى ... عَواكِفُ طَيرٍ في السَمــــاءِ تَقَلَّـــبُ

إِذا خَرَجَت يَوماً أُعيدَت كَأَنَّهــا ... وَكُلَّ حِــزامٍ فَضلُــهُ يَتَذَبــــذَبُ

وَأَلقَت مِنَ الإِفزاعِ كُلَّ رِحالَــــةٍ ... غُبارٌ تَهــاداهُ السَنابِــكُ أَصهَــــبُ

إِذا اِستُعجِلَت بِالرَكضِ سَدَّ فُروجَها ... صَبَحناهُــمُ مَلمومَــةً لا تُكَــــذِّبُ

فَرُحنا بِأَسراهُم مَعَ النَهبِ بَعدَمــا ... لَها مِثلُ آثارِ المُبَقِّـــــرِ مَلعَــــبُ

أَبَنَّت فَما تَنفَكُّ حَولَ مُتالــــعٍ ... وَبِالسَبيِ سَبيٌّ وَالمُحــارِبِ مِحــــرَبُ

وَبِالنَعَمِ المأَخوذِ مِثلُ زُهائــــهِ ... عَلى عُدَواءَ وَالعُيــونُ تَصَبَّـــــبُ

وَبِالمُردَفاتِ بَعدَ أَنعَمِ عيشَــــةٍ ... وَخَيَّبتَ مِن أَســراهُمُ مَن تُخَيِّــــبُ

جَعَلتَهُم كَنزاً بِبَطنِ تَبالَــــةٍ ... لَها بَشَرٌ صافٍ وَرَخــصٌ مُخَضَّـــــبُ

فَفازَ بِنَهبٍ فيهِ مِنهُم عَقيلَــــةٌ ... وَلَكِنَّ أَشباحاً مِنَ المــالِ تَذهَــــبُ[١٨]

فَــلا تَــذهَبُ الأَحســابُ مِــن عُقــرِ دارِنا

وأضــح أن هــذا الــنصّ يحمــل مفــاهيم متعــددة عــن اقتصــاد أهــل الباديــة واحــوالهم المعيشــية, ننطلــق مــن حقيقــة بســيطة فحواهــا اســتعمال الجــاهلي الغــزو؛ لكســب الغنــائم وأن الاســرى والســبية هــي القطــب الاساســي لهــذه الظــاهر الاســتبدادية, فــي الابيــات الأولــى ركــز الشــاعر علــى ذكــر الامــاكن التــي ينتجعــون بهــا اثنــاء القحــط

وقلة الموارد ثم انتقل إلى وصف الغزو بأدق التفاصيل مبيننا أهم اسباب الغزو من جهة والتفاخر بقومه من جهة اخرى, إذ كان الغزو يحمل الخير له ولقبيلته فهم لم يرجعوا منكوسين منه, بل عادوا وهم يحملون الغنائم من النساء والسبايا, والاسرى, والحلال, والبشائر.

كما انه يصف حال السبايا وهن مرادفات خلف فرسان قبيلته وانهنَّ يشكلنَّ اهمية اقتصادية واجتماعية, الاقتصادية: هي الزواج بهنَّ من دون مهر أو دفع اهلهن الفدية مقابل اطلاق سراحهنَّ, اما من الناحية الاجتماعية: دليل على قوتهم وفخرهم بسبي نساء العدو, ونهب اموالهم وحلالهم, فعندما تضيق على الجاهلي الحياة المعيشية يتجه صوب الغزو والارتحال؛ لكسب المال.

إذ كانت النزعة الاستبدادية مسيطرة على الجاهلي؛ "لأن الإنسان يولد في خليط من النزعات الخيرة والشريرة وتعمل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيش في كنفها على إظهار أحد الجوانب وبلورته وإخفاء الجانب الآخر"[١٩], لذا أصبحت الإغارة في سبيل الحصول على الغنيمة ضرورة من ضرورات الحياة الاقتصادية الجاهلية في البادية دفعتهم إليها قسوتها وقلة خيراتها, وإن اسباب شحة الرزق في بيئتهم هي صورة من صورة الصراع من أجل البقاء في مجتمع فقير معيشياً يسعى كل فرد منهم لتحقيق منفعته المادية على حساب الآخر[٢٠].

كما إن النظام الاقتصادي في القبيلة يتطلب وجود شخصاً تُسلم له القيادة يقود شعبه ايام الحرب والسلم, فكان رئيس القبيلة يتولى زمام الأمور, ودانت له القبيلة بالطاعة والخضوع, وانقادت خلفه متسارعة إلى الصراعات مع القبائل الاخرى من اجل الاستحواذ على مساقط الماء والكلأ, وتحاول كل قبيلة ان تغتصب خيرات القبائل الاخرى مغتصبة الشاه والإبل والخيول[٢١]:

رُبَّ رَفدٍ هَرَقتَهُ ذَلِكَ اليَو مَ وَأَسرى مِن مَعشَرٍ أَقتالِ

وَشُيوخٍ حَربى بِشَطّي أَريـــكٍ وَنِســـاءٍ كَأَنَّهُــنَّ السَعالـــي

وَشَريكَيــنِ في كَثيرٍ مِنَ المـــا لِ وَكانـــا مُحالِفَــي إِقـــلالِ

قَسَما الطارِفَ التَليدَ مِنَ الغُنـــ مِ فَآبـــا كِلاهُمــا ذو مـــالِ(٢٢)

كانــت الباديــة تعتمــد علــى الاقتصــاد الرعــوي البســيط, وعليهــا تحولــت الحيــاة الحربيــة لــيس جميعهــا, بــل بعضــها مصــدراً مــن مصــادر الــرزق, فقــد كــانوا يتخــذون الاغــارة والغــزو وســيلة مــن وســائل حيــاتهم الاقتصــادية التــي يكســبون مــن خلالهــا معاشــهم, وهــذا المعــاش محتــوم بالضــنك والضــيق ومولــداً الصــراع والاســتبداد فيمــا بيــنهم كــل مجموعــة تحــاول الحصــول علــى معاشــها فــي ظــل الصــحراء ومخاطرهــا القاســية(٢٣), وقــد صــور الشــاعر مصــاعب الحيــاة واســتبدادهم مــن خــلال الســيطرة على الغنائم, قائلاً:

فَأَفنَينا جُموعَهُــمُ بِنَــأجٍ وَكَرَّت بِالغَنــائِمِ وَالنِّهــابِ (٢٤)

حينمــا يكــون الطغيــان ينمــو الاغتصــاب ويصــبح ظــاهرة حتميــة, إذ ان مــن الصــعوبة جــداً أن يتشــابه الأفــراد مــن حيــث قــدراتهم الماديــة والمعنويــة فــي مجتمــع متنــاقض قاســي, إذ لكــل فــرد خصوصــية, ولــو تمــاثلوا لمــا كــان مجــال لبــروز الاســتبداد وأصــبح الطغيــان مســيطر علــى جوانــب الحيــاة, ويشــكل انعــدام التماثــل بــين الافــراد فــي مجتمــع تكــون القــوة هــي الاســاس والحــق الــذي يــؤدي بالضــرورة إلــى فــرز اجتمــاعي عميــق متبــاين, الاقويــاء الطغــاة هــم الاعلــى, والضــعفاء الخاضــعون فــي الطــرف الاســفل, كمــا تبــرز الــذات المتعاليــة المتضــخمة فــي الطــرف الاول, والذات المضمرة الخاضعة في الطرف الآخر(٢٥).

هــذا الصــراع بــين النــاس بســبب المعيشــة وعــدم الاســتقرار ادى إلــى حــدوث غــزوات طائشة وحروب مدمرة كل قبيلة تحاول انتزاع الموارد من القبيلة الاخرى:

غَنمِنا أَباها ثُمَّ أَحــرَزَ نَسلَهــا ضِرابُ العِدى بِالمَشــرَفِيِّ المُصَمِّــمِ(٢٦)

لــو تــوفر للجــاهلي الاســتقرار الاقتصــادي لمــا ذهــب إلــى الاســتبداد وحــب الاســتحواذ, إذ كانــت الغنــائم الاســاس التــي يســعى العربــي للحصــول عليهــا وســط

بيئة قاسية شحيحة بالموارد والرزق, والشاعر هنا يفتخر بالحصول على الغنائم من الابل والخيول, غنائم لم يكن الحصول عليها بسهولة بل بعد صراع طويل. إذ يبدوا لنا ان المجتمع الجاهلي كانت له حاجات معاشية بسيطة يهدف إلى اشباعها, لكن على الرغم من بساطتها لم يستطيع اشباعها بسهولة, بل ذهب إلى القوة والاستبداد لكي يثبت وجوده ويشبع حاجاته:

وَغَــزوٌ فَمــا يَنفَــكُّ فــي الأَرضِ تَقَلقَلُ أَفراسٌ بِــهِ وَرَواحِــلُ
طاوِيــاً صَفايا المَخاضِ وَالعِشارُ المَطافِــلُ[٢٧]
إِذا نَهَبوا نَهباً يَكونُ عَطائَــهُ

اجبرت قساوة البيئة وشظف المعيشة والشحّ الذي امتازت به الصحراء ومفازاتها, وقلة الامطار كل هذه العوامل دفعت العربي في العصر الجاهلي إلى الغزو والإغارة, بل أصبح من المقومات الاساسية في المجتمع البدوي وسبباً في اقتصادهم ورزقهم[٢٨], والشاعر في هذه الابيات يحكي لنا عن غزو قومه وقوتهم الاستبدادية التي مكنتهم من السيطرة على الغنائم وأي غنائم يستحوذ عليها قومه انها افضل الغنائم, وقد استعمل الشاعر كلمة (النهب) ليدل على القوة في انتزاع موارد غيرهم.

كانوا العرب في الجاهلية يأخذون الاسرى للاستفادة منه في دفع الفدية مقابل فك رقبته, لذلك يعد الاسير أهم مورد من غنائم الحرب التي يستحوذ عليها الغالب وتصبح ملكاً له يتصرف بها كما يشاء, والأسر خير للآسر من القتل ففي قتله لا يحصل على شيء اما إذا أسره يستطيع ان يحصل على المال من خلال دفع الفدية لفك اسره, أو يسخره في اعمال الخدمة أو يبيعه لكي يستفاد منه[٢٩]:

وَمُكَبَّلٌ يُفدَى بِوَافِرِ مالِــهِ إِن كانَ صاحِبَ هَجمــةٍ أَو أَيصَــرِ[٣٠]

كان الأسر بصورة خاصة هو المورد الاقتصادي الاساسي لتزويد الجاهلي بالعبيد والأموال؛ لأن الأسير يصير ملكاً لآسره وعبداً له أن لم يدفع الفدية أهله

لكي يتم اطلاق سراحه, وحينها اما يستخدمه صاحبه أو يبيعه في أسواق النخاسة التي كانت تدر عليهم أرباحاً هائلة[٣١]. نلحظ أن الشاعر هنا يصف حال الاسير بقوله: (مُكبل) فهذا الشخص المُكبل بقيود الآسر اما أن يفدي نفسه بالمال أو يصبح عبداً يعمل بالسخرة لدى مالكه:

رُبَّ رَفدٍ هَرَقتَهُ ذَلِكَ اليَو مَ وَأَسرى مِن مَعشَرٍ أَقتالِ
وَشُيوخٍ حَربى بِشَطّي أَريكٍ وَنِساءٍ كَأَنَّهُنَّ السَعالي
وَشَريكَينِ في كَثيرٍ مِنَ المالِ وَكانا مُحالِفَي إِقلالِ
قَسَما الطارِفَ التَليدَ مِنَ الغُنـ مِ فَآبا كِلاهُما ذو مالِ[٣٢]

يصف الشاعر القوة التسلطية في الاستحواذ على غنائم الحرب (الاسرى, وسبايا, والاموال, والحلال) وبعد الاستيلاء عليها تم توزيعها فيما بينهم, ففي هذه النصّ إشارة للغنائم التي استحوذ عليها القوم, فالشاعر يصور عدم الاستقرار الاقتصادي لأهل البادية واعتمادهم على اسلوب الغزو والإغارة والنهب من الطرف الاخر.

كما حرص الجاهلي خلال غزواتهم على سبي واسر أكبر عدد ممكن أكثر من حرصهم على الغنائم الأخرى؛ لأن السبي والأسر فضلا عن كونه غنيمة حربية فهو يعد إذلالاً وقهراً للآخر, فقد حرص الجاهلي على اختيار النساء الحرائر لكي يكونن سبايا؛ لأن قيمتهن المالية أكبر ترتفع بارتفاع قدرتها, أما في حال لم يتم دفع الفدية تكون زوجه لمالكها وتنجب له الاولاد الشجعان[٣٣].

وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورةٍ وأُخرى يُقَالُ لَهُ فادِهَا
وَمَنْزُوعَةٍ مِن فِنَاءِ اِمْرِئٍ لِمَبرَكِ آخَرَ مُزْدَادِهَا (٣٤)

المتأمل في هذا النصّ الشعري يتأكد من اعتماد الجاهلي في معيشته على الغزو والإغارة, فقد وصف الشاعر الغنائم من السبايا والحلال وكم سبية موجودة في بيته تحت خدمته احرزها من خلال الإغارة ولم يدفع فيها مهراً, واخرى غيرها يطلب من اهلها الفدية لكي يطلق اسرها, وفضلاً على الغنائم

التي استحوذ عليها من نوق أصبحت مُلكاً إليه, وبدلت اسمائها بأسماء اخرى, إذ كانت هذه الغارة رزقاً له(٣٥).

إذ يكون وجه الاستبداد في السبية ان مالكها ستنكحها من غير مهر وتكون زوجة وعبدة مملوكة تحت امره من جهة, وتنجب له الاولاد من جهة ثانية, أو اهلها يدفعون الفدية له, فهو بكل الاحوال مستفاد منها فائدة مالية معيشية. لذا كانت الحرائر تفر اثناء الغزو كاشف عن رأسها؛ لكي يظنها القوم انها أمة, فيتركونها, إذ ان المقابل يقصد الحرة بسبب الفائدة التي يحصل عليها عند سبيها(٣٦)وقال:

يوم تُبدِي البِيض عن أسْؤُقِها وتلُفُّ الخيلُ أعْرَاجَ النَّعَمْ(٣٧)

إما طرفة بن العبد أضفى على المرأة السبية صفات جمالية واصفاً لحظة فرارها, فهن كاشفات عن الأسواق خوفاً من السبي مستعملاً كلمة (البيض) استعارة عن المرأة الحرة الكريمة, كما يصف خوف القوم على حلالهم محاولين الهروب بها من العدو:

فَأُبنا غانِمينَ بِما اِستَفَأنا نَسوقُ البيضَ دَعواها الأَليلُ(٣٨)

افتخر الجاهلي بالحصول على الغنائم وتحديداً السبايا؛ لأن الاستحواذ على النساء الحرائر فيه اذلال وكسر انوف الخصم, كما يعد مورداً اقتصاديا غالي الثمن:

وَسَبينَا نِنْ تَغلبٍ كُلَّ بَيْضاءَ رَقُودِ الضُّحى بَرُودِ الرُّضَابِ(٣٩)

يتباهى الشاعر بان قومه سبوا النساء الحرائر المنعمات اللواتي لا يعرفن التعب والخدمة, وكان هذا السبي انتصاراً وفخراً له ولقومه وقهراً لعدوه, كما يعد مورداً اقتصادياً مهماً في البيئة الصحراوية:

فأبْنا بحورٍ كالظّباءِ وجَاملٍ ولم يمنْع البيضَ الحسانَ بُعولُها
تُناغِي العَضاريطَ المشاةَ خرائدُ تُمسِّحُ أطرافَ القِلاصِ ذيولُها(٤٠)

كان الشعر الجاهلي مرأة صادقة لحياتهم الاقتصادية التي كانت حافلة بالغزو والاستحواذ على الغنائم والموارد والمراعي, وتمكنت البيئة الجاهلية من زرع نزعة الاستبداد في نفوسهم كل فرد منهم يحاول فرض قوته التسلطية, وانتزاع الموارد من الآخرين بالقوة الممزوجة بالإهانة.

الهوامش

(١) انتقام الجغرافيا, ٨٥.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام, ٥: ٣٣٣.

(٣) ينظر: المفصل, ٥: ٤٠٣.

(٤) ديوان تأبط شرًا, ١٧٧. الركيب: الأرض ما بين الحائطين من النخيل والكروم, أو هي المزرعة, ينظر: تاج العروس , ٢: ٣٧؛ لسان العرب ,١: ٤٣٣.

*الثميل : جمع ثملة , وهو الحب لأنه لا يدخر, ينظر : ابن منظور , لسان العرب ,١١: ٩١.

(٥) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام,٥: ٣٣٤.

(٦) مقدمة ابن خلدون , ٢ : ٥٨٣ .

(٧) ينظر: الفروسية في الشعر الجاهلي, ٤٦.

(٨) ينظر: الفروسية في الشعر الجاهلي, ١٠٤, ١٠٥.

(٩) ينظر: شعر الحرب في العصر الجاهلي, ١٩.

(١٠) ينظر: العرب قبل الاسلام, ٥٦.

(١١) الاغاني, ١٢: ٣١١.

(١٢) ينظر: الإبل في الشعر الجاهلي, ١٧٣.

(١٣) شعر الحرب في العصر الجاهلي, ٨٠.

(١٤) ديوان الطفيل الغنوي, ٦٩. اغتفت: أصابت الخيل غُفَّةً من الربيع أي أصابت منه مشقَّة ولم تستوثق؛ التّرات: جمه ترة, وهي الدِّية؛ براكاء الأمر: شديده ومعظمه؛ النجدة: البأسُ.

(١٥) ينظر: الادب الجاهلي, ٣٣.

(١٦) ينظر: العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي, ٢٩٢.

(١٧) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب,١: ٥٠.

(١٨) ديوان الطفيل الغنوي, ٥٦, ٦٧. الركب: هو راكب الأبل؛ العوار: الضعيف الجبان السريع الفرار كالأعور؛ السِّراح: الذئاب؛ والغراب ومُذهب: فحلان؛ السنابك: طرف الحافرة وجانباه من قُدُمٍ؛ ملمومةٌ: كتيبة منتشرة, وقيل مجتمعة مضمومٌ بعضها إلى بعض؛ ابنت: أقامت حتى أثّرت بأبوالها وأبعارها وصارت بنَّة كأنها قد أبنَّت, الابنان: اللزوم, وابننت بالمكان إبناناً إذا أقمت به؛ متالع؛ جبل؛ المبقر: لعبة يلعبها الصبيان يقال لها البُقيري, يضربون بأيديهم ويُؤثّرون؛ تبالة: موضع؛ كنزاً: يعني مُقيمين؛ العقيلة: كريمة الحيّ, وكذلك كل شيء من الشاة والإبل والدَّواب؛ العُقر: الأصل والبيضة؛ الاشباح: العظام من الاموال.

(١٩) سيكولوجية الجنوح, ٧٥.

(٢٠) ينظر: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية, ١٩٥؛ ينظر: العصبية القبلية, ٨١.

(٢١) ينظر: الادب الجاهلي, ٣٢.

(٢٢) ديوان الاعشى, ١٣. الرفد: القدح الضخم؛ اقتال: العدو؛ السعالى: الغيلان؛ الطارف التليد: يعني رجلين من جنده غنما هذا المال, وكان تليد أي قديما موروثا عند اصحابه فأصبح طارفا أي جديدا مستحدثا عندهم.

(٢٣) ينظر: العصر الجاهلي, شوقي ضيف, ٧٨.

(٢٤) ديوان عمرو بن كلثوم, ٢٧.

(٢٥) ديوان الطفيل الغنوي, ١٠٩.

(٢٦) ديوان الطفيل الغنوي, ١٠٩. المشرفي: السيوف المنسوبة إلى الشَّارف وهو اسم رجل.

(٢٨) ديوان زهير بن ابي سلمى, ٩٩. الطاوي: الذي يطوي الارض ويسير فيها؛ تقلقل: تضطرب؛ الرواحل: الواحدة؛ راحلة: الناقة القوية على الاسفار والأحمال؛ النهب: الغنيمة؛ الصفايا, الواحدة صفي: وهي الناقة الغزيرة اللبن؛ ولعله جمع صفية: وهو ما يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنائم؛ المخاض: دنو الناقة الخامل من الولادة؛ العشار, الواحدة عشراء: الناقة التي اتى على حملها عشرة أشهر ولمّا تضع؛ المطافل, الواحدة مطفل: الناقة معها ولدها.

(٢٩) ينظر: العرب في العصر الجاهلي, ٩٧.

(٣٠) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام, ٧: ٤٥٦.

(٣١) المفضليات, ٧٥.

(٣٢) ينظر: العرب قبل الاسلام واحوالهم السياسية والدينية, ٢٧٥.

(٣٣) ديوان الاعشى, ١٣. الرفد: القدح الضخم, يكنى باراقة الرفد عن الموت؛ أقتل: اصحاب تراث؛ جمع قتل بكسر وسكون وهو العدو؛ حربى: جمع حريب وهو من حرب ماله أي سلبه؛ السعالى: الغيلان؛ الطارف التليد: يعني رجلين من جنده غنما هذه المال وكان تليد أي قديما موروثا عند أصحابه فأصبح طارفا أي جديدا مستحدثا عندهما.

(٣٤) ينظر: المرأة في شعر الأعشى, ٩.

(٣٥) ديوان الاعشى, ٧٥. غير ممهورة: لأنها سبية أخذت قهراً في الحرب؛ ومنزوعة: ناقة اخذت في غنائم الحرب.

(٣٦) ينظر: المصدر نفسه, ٧٤.

(٣٧) ينظر: المرأة في شعر الأعشى, ٩.

(٣٨) ديوان طرفة بن العبد, ٧٥. البيض: مفردها البيضاء, وهي المرأة الحرة الكريمة؛ الأسُوق: ما بين الكعب والركبة؛ الاعرج: مفردها العرج وهو قطيع من الأبل؛ النعم: الماشية من الأبل والابقار والاغنام.

(٣٩) ديوان عامر بن الطفيل, ٩٧. اسفأنا: اخذنا من الفي اراد الغنيمة؛ البيض: النساء.

(٤٠) ديوان زهير بن جناب, ٦٢. الرضاب: الريق.

(٤١) الطرائف الأدبية, ٢٢. القائل: الأفواه الأودي.

المصادر:

- الإبل في الشعر الجاهلي, أنور ابو سويلم, ط١, دار العلوم, الرياض– السعودية, ١٤٠٣هـ, ١٩٨٣م.
- الأغاني, لابي فرج الاصفهاني, ط١, مطبعة دار الكتب المصرية, القاهرة, القسم الادبي, ١٩٣٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي, تح: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي, ط٢, طبعة الكويت, د.ت.
- تاريخ الادب العربي, د. احمد حسن الزيات, ط٢, دار الثقافة, بيروت– لبنان, ١٩٧٨م.
- تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي), د. شوقي ضيف, ط١١, دار المعارف, القاهرة– مصر, ١٩٦٠م.
- خ"زانة الأدب ولب لباب لسان العرب, تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي, تح: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة– مصر, ١٩٧٩م.

❖ ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس), شرح وتعليق: الدكتور. م. محمد حسين, ط١, المطبعة النموذجية, الناشر, مكتبة الآداب بالجماميزت, مصر, ١٩٥٠م.

❖ ديوان تأبط شرًا, جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر, ط١, دار الغرب الاسلامي, بيروت– لبنان, ١٩٨٤م.

❖ ديوان الطفيل الغنوي, شرح: الاصمعي, تح: حسان فلاح أوغلي, ط١, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٩٩٧م.

❖ ديوان عامر بن الطفيل, رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب, دار صادر, بيروت, ١٩٧٩م.

❖ ديوان عمرو بن كلثوم, جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب, ط١, دار الكتاب العلمية, بيروت– لبنان, ١٩٩١م.

❖ شعر الحرب في العصر الجاهلي, د. علي الجندي, ط١, دار الفكر العربي, القاهرة– مصر, د.ت.

❖ الطرائف الأدبية, عبد القادر الجرجاني, تح: عبد العزيز الميمني, د.ط, مطبعة التأليف للطباعة والنشر, القاهرة, ١٩٣٧م.

❖ العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي, بيغوليفسيكا فكتورفنا, تر: صلاح الدين عثمان هاشم, قسم التراث العربي, الكويت, ١٩٨٥م.

❖ العرب قبل الاسلام واحوالهم السياسية والدينية, د. محمود عرفه محمود, ط١, الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة, ١٩٩٥م.

❖ العصبية بنية المجتمع العربي, عبد العزيز قباني, ط١, دار الآفاق الجديدة, ١٩٩٧م.

❖ الفروسية في الشعر الجاهلي, نوري حمودي القيسي, ط١, منشورات مكتبة النهضة, بغداد, طبع على مطابع دار التضامن- بغداد, ١٣٨٤هـ, ١٩٦٤م.

❖ لسان العرب, محمد بن مكرم ابن منظور, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ١٩٩٩م.

❖ المرأة في شعر الاعشى (دراسة تحليلية), د. عبد العزيز نبوي, د.ط, دار الصدر لخدمات الطباعة, مصر, ١٩٨٧م.

❖ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام, د. جواد علي, ط٢, الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية, ساعدت جامعة بغداد على نشره, ١٤١٣هـ, ١٩٩٣م.

❖ المفضليات, ابو العباس المفضل بن محمد الضبيّ الكوفي اللغوي, تحقيق: أحمد محمد شاكر, وعبد السلام محمد هارون, ط٦, دار المعارف, القاهرة, ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

❖ المقدمة, عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ- ١٤٠٥م), تقديم شرح: علي عبد الواحد وافي , ط٢, لجنة البيان العربي, القاهرة- مصر, ١٩٦٥م.

❖ انتقام الجغرافيا, روبرت دكابلان, تر: د. ايهاب عبد الرحيم علي, سلسلة عالم المعرفة (٤٢٠), المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ٢٠١٥م.

❖ سيكولوجية الجنوح, عبد الرحمن محمد عيسوي, مصطفى احمد تركي, جامعة الكويت, مجلس النشر العلمي, مج١٤, ع١, الكويت, ١٩٨٦م.